بعد منتصف الليل
قصة قصيرة
بسنت سعيد

بعد منتصف الليل

قصة بقلم:

بسنت سعيد

اسم العمل: بعد منتصف الليل

نوع العمل: قصة قصيرة

اسم المؤلف: بسنت سعيد

تدقيق لغوي: ريهام إبراهيم - روان أشرف - نهى حجاج

مراجعة لغوية: هبةالله عيسى

تصميم داخلي وتعبئة وتنسيق: رحاب جمال

عمل فريق مدونة كلام على ورق

رو اية بعد منتصف الليل على مدونة كلام على ورق

إهداء إلى أمي التي وقفت بجانبي.

إهداء إلى أخوتي لتشجيعهم لي.

إهداء إلى صديقتي علا عوض لدعمها لي.

إهداء إلى دينا زهران وهبة الله عيسى أخو اتي التي التقيت بهم وكانوا أفضل صحبه وسند.

إهداء إلى فريق عمل كلام على ورق لدعهم لي.

إهداء إلى كل من التقيتُ به وقام بتشجيعي.

وأخيرًا إهداء إلى من ظن أنني لن أصبح شيء... ها أنا أرسم طريقي بيدي

بسنت سعيد

كل شخص له قصة، له تجربة، له جانب مظلم في حياته يُخفيه عمن حوله، وهذه تجربة مررتُ بها أردتُ أن أُشاركها معكم ولكن حاول أن تُصدقني فالجميع كذبني، اعتقدوا بأني قد جننتُ ولكن لا، أنا أعي كل كلمة أقولها وكل حرف ستقرأه أنتَ، هذه ليست قصة عادية، هذه قصتي أنا، جزء أليم دمر حياتي بأكملها، جعل بي نُدبة لا أستطيع مُداواتها.

أنا "سارة نبيل" عمري اثنان وعشرون عامًا، أعيش في أسرة بسيطة مكونة من أب وأم و أنا وأختي الصغيرة، تصغرني بخمسة عشر عامًا، نعم الفرق كبير جدًا بيننا فأنا أعتبرها ابنتي وليست أختي.

ذات يوم أخبرتني أمي أننا سنذهب لبيت إحدى أقاربنا؛ لتبارك لها لنجاح ابنتها.

تحمستُ للفكرة كثيرًا، فهذه أول مرة أذهب إليها، كل مرة تذهب أمي وأختي فقط؛ لأنني إما في الجامعة أو مُنهكة في دراستي.

سألتُ أمي:

- هل بيتها بعيد؟

- نعم، ولا يوجد مواصلة للذهاب إليها؛ إنها في عزبة داخل الأراضي الزراعية ولا يوجد طريق مباشر لها.

- إذًا كيف سنذهب؟

- سنأخذ "توكتوك" وإن لم نجد سنسير إلى هناك.

- حسنًا.

- هيا اذهبي وارتدي ملابسك و أنا سأتصل بها وأخبرها أننا قادمون.

ذهبتُ إلى غرفتي وارتديتُ ملابسي، وأختي الصغيرة ارتدت ملابسها أيضًا وخرجنا من المنزل بعد صلاة العصر.

خرجنا ثلاثتنا و أثناء سيرنا قابلنا جارتنا، أوقفتنا وظلت تُثرثر كثيرًا، نظرتُ للساعة أصبحت الساعة الرابعة.

- أمي سنتأخر.

ابتسمت أمي وودعت جارتنا الثرثارة التي لم تكتفِ بذلك وصارت تسأل عن وجهتنا و أين نحن ذاهبون؟

أخبرتها أمي عن وجهتنا، صراحةً أكره الناس الفضوليين جدًا، لماذا كل هذه الأسئلة؟ قاطعتُ أسئلة تلك الثرثارة بملل:

- أمي سيحل الليل ونحن لم نتحرك من مكاننا.

وأخيرًا ودعتها أمي وفررنا من كثرة الأسئلة المنهلّة علينا.

سِرنا في طريقنا لبعض الوقت، لم نجد فيهم أي وسيلة مواصلات تأخذنا إلى وجهتنا.

ابتسمت أمي وقالت بمزاح:

- إذًا سنُكمل سيرًا.

- هل المسافة أبعد من ذلك؟ لقد خرجنا من قريتنا بأكملها.

- نعم، سنسير مثل ما سِرنا مرتين.

هذه المرة تكلمت الصغيرة:

- أمي، لقد تعبت وآلمتني ساقي.

- إنها فسحة يا صغيرتي، استمتعي بالطريق.

-وأشارت للطريق- كنا قد دخلنا على الأراضي الزراعية، على يميننا أراضي وعلى يسارنا أراضي وفي المنتصف ترعة صغيرة.

فأكملت أمي:

- كيف تملون و أنتما تريان الماء والخضرة و أنتما الوجه الحسن؟

ظللنا نتحدث ونمازح بعضنا طوال الطريق، قاطعنا صوت رنين هاتف أمي؛ إنها قريبتنا تتساءل لماذا تأخرنا؟ كانت تخشى أن يحل الليل علينا.

أخبرتها أمي أننا سنصل إليها بعد حوالي نصف ساعة أخرى.

و أثناء المكالمة نظرتُ إلى الترعة التي على يساري، أشعر أنها مُخيفة جدًا، لماذا؟ لا أعلم، كانت ممتلئة على آخرها، قفزفي ذهني الحكاوي التي كانت تُخبرني بها جدتي -رحمها الله- عن الجنيات والنداهات.

سمعتُ شيئًا يهمس في أُذني، إنه اسمي، لقد سمعته.

قشعريرة أصابت جسدي بأكمله، لا بد أنني أتخيل منظر الترعة المخيفة مع تذكري لحكاوي جدتي، لا بد أنهم جعلوني أتخيل.

انتبهتُ لصوت أمي:

- سارة، لقد اقتربنا؛ بقى القليل.

شددتُ قبضتي على يد أختي:

- حسنًا، أمي هل هنا بيتها في وسط الأراضي؟

- نعم.

- ألا يخافون؟ فالمنظر مخيف حقًا؛ شكل الترعة مع صوت الأشجار يجعلون المشهد مخيفًا حقًا.

- لقد اعتادوا على ذلك ولا أحد يخاف من منزله.

ثم نظرت إليّ:

- هل تخافين من منزلك؟

- لا، ولكن إذا كان في مكان مخيف بهذا الشكل، بالطبع سأخاف.

- أنتِ تُبالغين حبيبتي؛ فالمكان ليس مخيفًا لهذه الدرجة.

تحدثت الصغيرة:

- سارة أصبحت تخاف من كل شيء، قلبها ضعيف ليس مثلي؛ فأنا لا أخاف أبدًا.

ابتسمت لتلك الصغيرة وأردفت أمي:

- أحسنتِ يا صغيرتي، هيا قد وصلنا؛ هذا هو البيت.

زالت ابتسامتي و انقبض قلبي أكثر فالبيت يبدو مخيفًا أكثر من الترعة وصوت الأشجار.

في الو اقع كان البيت كبيرًا جدًا، تحاوطه الأراضي الزراعية من كل مكان، وضوء القمر المتسلط فوقه أعطاه هيئة مرعبة أكثر.

دلفت أمي أولًا ثم أختي ثم أنا، ورحبت بنا قريبتنا ترحيبًا حارًا.

جلسنا بالصالون، مسحت البيت بعيني، كان هادئًا جميلًا ليس مثل خارجه..

إذًا شكل البيت من الخارج شيء، وداخله شيء آخر.

قامت قريبتنا بضيافتنا، و أتت بنتاها للجلوس معنا، بنتاها مقاربتان لي في السن، اقترحت علي إحداهما أن أذهب لغرفتهما لندردش سويًا، نظرتُ لأمي فأومأت لي بالمو افقة.

أخذت الصغيرة وذهبنا معهما وتركت أمي مع قريبتنا، أما هما فتعلمان أنني أحب القراءة كثيرًا؛ فعرضا علي بعض

الكتب وظللنا نتحدث ونتناقش فيها إلى أن أتت أمامي

رو اية رعب، في الحقيقة لا أتذكر اسمها ولا مؤلفها.

أخذت الرو اية بين يديّ فسألتني إحداهن:

- هل تحبين رو ايات الرعب؟

- لم أجرب أن أقرأ رعبًا من قبل.

تحدثت الصغيرة:

- ولكني أريد أن أقرأ.

داعبتها إحداهن وقالت:

- أنتِ لا تخافين؟

أجابت الصغيرة:

- لا أخاف من شيء.

ثم نظرت إلي:

- لكن سارة تخاف، لقد كانت خائفة عندما أتينا.

رفعت الأخرى نظرها إلي:

- حقًا.

- في الو اقع المكان مرعب هنا، لم أخف للدرجة ولكنه مرعب، ألا تخافون؟

قالت الأخرى:

- لقد اعتدنا، أتعلمين؟ لقد استيقظتُ ذات يوم وكنتُ ذاهبة للمرحاض، وجدت ثعبانًا كبيرًا هناك.

- وماذا فعلتِ؟

- لم أفعل شيئًا ناديتُ أبي وقتله.

- ألم تخافي؟

- لا.

ثم قهقهت:

- لقد اعتدنا على الثعابين وأشياء كهذه، الحديقة أمامنا مليئةٌ بهم، ولكنهم لا يؤذون.

صمتت قليلًا ثم أكملت:

- لكن ما يزعجنا حقًا، رؤيتنا للكوابيس أثناء النوم وأشياء غريبة تحدث مثل..

قاطعتها:

- لا تخبريني بشيء رجاءً، فكيف سأذهب هكذا؟

نطقت الأخرى:

- امكثوا معنا الليلة.

- هذه أكثر فكرة مرعبة بالنسبة إلي.

نظرتُ للساعة فانتفضتُ من مجلسي، يا إلهي! إنها الثانية عشرة، لقد مر الوقت سريعًا وتأخرنا، كيف سنذهب؟

تركت الغرفة وذهبتُ إلى أمي:

- أمي هيا بنا.

سألتني قريبتنا:

- لماذا؟

- لقد تأخر الوقت، كيف سنذهب؟

- لدينا سائق بالقرب منا، سنحضره لكم، اجلسي.

نظرتُ إلى أمي:

- هيا يا أمي، الثعابين تدخل هنا وكأنه شيء عادي.

أجابت قريبتنا:

- هل تخافين؟

ثم أشارت إلى ولدها الصغير الذي لم يتعد الثمان

سنوات:

- وليد لا يخاف منهم البتة، هو من يقتلهم.

أجبتُ بهدوء:

- الشيء الطبيعي أن أخاف منهم، أما غير الطبيعي أنكم لا تخافون!

ثم أكملتُ كلامي لأغلق باب النقاش:

- اعذريني خالتي، لقد تأخر الوقت كثيرًا، والمسافة ليست قريبة، نريد الذهاب.

- حسنًا.

نظرت إلى ابنها وليد:

- هيا اذهب للعم خالد، أخبره أننا نريده.

أومأ بالإيجاب ثم غادر.

وجهت بصرها إليّ:

- اجلسي الآن، بضع دقائق وسيكون هنا.

جلستُ بحذر وأنا أنظر حولي، أخشى أن يخرج أي شيء غير متوقع بالنسبة لي ومعتاد بالنسبة لهم، إنهم يتكلمون

عن الثعابين وكأنها شيء عادي.

- سارة... انتبهت للصوت، إنه صوت الخالة.

أجبتُ بخفوت:

- نعم.

- ما رأيك بكتب البنات؟ هل أحببتها؟

- جدًا، إنها رائعة ومفيدة، لقد أحببتهم جميعًا، أما رو ايات الرعب فلم أقرأ أي منهم قبل ذلك.

- لماذا؟

- لا أدري، ولكن ليس لي شغف بهم.

دخل الفتى على عجلٍ:

- أمي، لقد رفض عمي خالد، وقال لقد تأخر الوقت، و أنه لن يخرج في وقت كهذا.

نطقت إحدى الفتاتين:

- اقضوا الليلة معنا، سيكون ذلك ممتعًا.

قاطعتها سريعًا:

- لا، لا أريد.

نظروا إليّ جميعًا فأدركت موقفي، و أنني تسرعت بالإجابة فرسمتُ ابتسامة خفيفة:

- أقصد أنني لدي جامعة في الصباح، ولا يمكن الغياب.

- حسنًا، وليد اذهب إلى والدك وأخبره أن يتصل به.

غادر وليد، ثم ساد الصمت بيننا.

مر ما يقارب النصف ساعة حتى جاء سائق "التوكتوك" ليصطحبنا بعد إلحاح شديد من والد وليد.

الآن دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

لا أدري كيف أصف لكم شكل المكان بمجرد خروجي من البيت؛ ارتفعت ضربات قلبي، قشعريرة دبّت بأوصالي، الظلام يسود المكان بشكل مخيف، وصوت الريح مع الزرع يصدر صوتًا لا أستطيع أن أصفه، لكنه مخيف.

ركبتُ أنا وأختي التوكتوك منتظرين أمي فهي مشغولة بسلامات الخالة وتوديعها، حاولتُ التحدث مع الصغيرة لعليّ أُلهي عقلي قليلًا، ولكن أحسستُ بشيء يمشي على قدمي بخفة، نظرتُ لقدمي بفزع ولكني لم أرَ شيئًا فالمكان مظلم، أشعلت نور الهاتف ولكن دون جدوى، لا يوجد

شيء، لا بد أنني أتخيل.

صرخة الصغيرة أفزعتني، سألتها بلهفة:

- ماذا بكِ؟

نزلتْ سريعًا ووقفتْ بجوار أمي وهي تبكي:

- أمي، لقد أحسستُ بشيء يمشي على جسدي.

تفحصتها أمي:

- أين عزيزتي؟ لا يوجد شيء، لا بد أنكِ تتخيلين.

ملست أمي بحنان على الصغيرة، وركبنا وتحرك الرجل بنا.

أمي بابتسامة:

- لقد كان يومًا رائعًا.

لكن لم يقابلها رد، شرد كلٌ منا في أفكاره.

وجهت بصري للطريق؛ رأيت عدة بيوت من الطين بجانب بعضهم مهجورين لم أرهم و أنا قادمة أو ربما الظلام هو من أعطاهم منظرًا مخيفًا فصاروا يجذبون النظر بشدة، مررنا بالترعة المخيفة التي أصبحت أكثر رعبًا الآن،

انتبهت لتوقف السائق فجأة فسألته:

- ماذا حدث؟!

أجاب السائق وهو يحاول تشغيل التوكتوك:

- لا أدري.

توقف فجأة! نظرتُ لأمي بهلع، طمأنتني بابتسامة منها، نظرتُ لأختي وجدتها ترتعش خوفًا، أخذتها بين أحضاني وسألتها بقلق:

- ليلى، ماذا بكِ؟

أجابت بهمس:

- خائفة.

- من ماذا؟

- أشعر بشيء يتحرك على جسدي.

ثم بكت الصغيرة، أشعلتُ نور الهاتف أتفحصها وجدتُ خدش في يديها.

- ماذا أصابك عزيزتي؟ هل خدشك شيء؟

- لا.

- أمي انظري إلى يد ليلى بها خدش!

نظرت أمي للخدش ثمّ تطلعت إلينا:

- لا بد أنها احتكت بالحائط فأصيبت.

انتبهنا على صوت الرجل:

- التوكتوك معطل، لا أعلم ماذا حل به فجأة؟!

ثم أكمل متذمرًا:

- لقد قلت لا أريد الخروج في هذا الوقت، كيف سأجد ميكانيكي هنا؟!

في الواقع هو محق؛ نحن من تأخرنا والمكان لا يبشر بالخير.

خرج الرجل من التوكتوك يبحث عن أي شخص يستطيع مساعدته، سار الرجل حتى اختفى عن أنظارنا تمامًا، نظرتُ للصغيرة وجدتها غطت بالنوم بين أحضاني، سمعت أمي تتمتم ببعض الكلمات حاولت أن أركز ماذا تقول؟ وجدتها تردد بعض الآيات القرآنية، إذًا أمي خائفةً أيضًا!

ساااااارة... سااارة.

التفت سريعًا إلى الصوت، لا أجد أحدًا، دققت بنظري على الترعة الممتلئة فوجدت أمي هناك تغرق تحاول النجاة ولكن.. ولكن هناك من يسحبها لأسفل! ارتفعت ضربات قلبي، كيف تكون أمي هنا وهناك؟! في نفس الوقت نظرت لأمي سريعًا فلم أجدها مكانها! صرخة عالية دوت بالمكان أيقظت الصغيرة بفزع:

- ما هذا الصوت؟! ماذا حدث؟!

ثم نظرت مكان أمي وأكملت ببكاء:

- أين أمي؟

تسارعت ضربات قلبي بشدة، لا أعرف ماذا حدث حتى أخبرها به؟ مجرد التفاتي لم أجد أمي! أجبتها:

- لا أعلم.

- كيف؟

- لا أعلم.

أخذتُ بيد الصغيرة ونزلنا من التوكتوك نبحث عن أمي، هل غرقت حقًا؟! هل كانت هذه أمي أم مجرد تخيل؟ صرخة أخرى دوت بالمكان جعلتني أنتفض، تشبثت

الصغيرة بي ودفنت وجهها في ملابسي وبكت، حاولت أن أتماسك كي لا أُفزِع الصغيرة، بينما قلبي يكاد يخرج من مكانه من كثرة الخوف.

تلفتُّ حولي أبحث عن أي شيء، في الو اقع لا أعلم عن ماذا أبحث؟ نظرت للصغيرة وأخبرتها بهمس:

- ليلى، لا تخافي فأنتِ شجاعة، نحن في مهمة، هيّا نبحث عن أمي.

مسحت دموعها وأردفت ببكاء:

- هيّا.

أخذت يدها وتجولنا بالمكان بخوف.

سااااارة... سااااارة

صوت الهمس في أذني يزداد أكثر و أكثر، وقفتُ مكاني أحاول أن أتتبع مصدر الصوت، تتبعت الصوت وجدته يأتي من تلك الترعة اللعينة، اقتربتُ ببطء شديد وبحذر والصوت يعلو أكثر و أكثر، وعندما اقتربتُ من الحافة كان صوت الهمس قد اختفى فجأة! ثم سمعت صوتًا وكأن هناك شيء يحفر داخل الحافة، وقفت أنا والصغيرة

ومددتُ رأسي قليلًا أنظر ماذا هناك، لكن شيء قفز أمامنا مباشرةً جعلنا نرتد للخلف بفزع! دققتُ النظر في الشيء الذي مر أمامنا؛ إنها قطة سوداء، انتبهتُ للصغيرة تحاول أن تفلت يدها من يدي وتصرخ بأعلى صوتها:

- أمييييي! أمييييي.

نظرت حيث تنظر، وجدتُ أمي تسير داخل الأراضي في الظلام، همستُ:

- أمي!

أخذت بيد الصغيرة وركضتُ و أنا أصرخ بأعلى صوتي:

- أمي.

لكنها لم تلتفت، ركضنا بأقصى سرعتنا وكلما اقتربنا كلما ابتعدت هي أكثر ثم دخلت أحد المنازل المهجورة، وقفتُ أمام المنزل ألهث من كثرة الركض، انتقل نظري بين المنزل والصغيرة، فسألت وهي تلهث:

- لماذا توقفتِ؟ هيّا نلحق بأمي.

شيء بداخلي يحدثني بألا أدخل لكن بادرت الصغيرة

بسحبي إلى الداخل، دخلنا ببطء شديد فعم المكان

الظلام التام، أشعلتُ نور الهاتف لكي نرى أمامنا ثم ناديت عليها:

- أمي.. أمي.

المنزل هادئ تمامًا! هدوء مخيف، لا يوجد به أي صوت سوى صوت قرع نعالنا.

تحدثت ليلى بهمس:

- سارة، أين ذهبت أمي؟

- لا تقلقي سنجدها.

- سارة.. ليلى، أين أنتما؟

سارة:

- هذا صوت أمي يأتي من هذه الغرفة.

تحركنا على عجلة من أمرنا، أفلتت ليلى يدي وركضت باتجاه أمي التي كانت في منتصف الغرفة فاتحة ذراعيها لاستقبالنا، ركضنا إليها، كانت ليلى تسبقني، توقفت فجأة عندما رأيت ضوء القمر مسلطًا عليها ولا يوجد أي ظل لها! صرخت بأعلى صوتي:

- ليلى توقفي! ليلى، هذه ليست أمنا، ليلى!

ولكن قد فات الآوان! باب الغرفة أغلق على ليلى بالداخل، حاولت فتح الباب عدة مرات وطرقتُ عليه بشدة ولكن دون جدوى، لا يُفتح الباب! صرخات الصغيرة كانت تملأ المكان، سالت دموعي و أنا أطرق الباب بشدة، جففت دموعي بسرعة متذكرة الشباك الذي ظهر منه ضوء القمر، خرجتُ من المنزل سريعًا والتففتُ حول البيت لأجد ذاك الشباك، نعم رأيته مفتوحًا! اقتربت منه مسرعة، تعرقلتُ بالطريق ولكنني نهضتُ مرة أخرى، توجهت للشباك، نظرت من خلاله لأرى أبشع منظر لم أتوقع أن أره يومًا؛ تجلس أمي أو التي ظنناها أمنا في منتصف الغرفة تنهش في لحم الصغيرة التي فارقت الروح جسدها، وضعت يدي على فمي أمنع شهقاتي، وجلستُ على ركبتي أبكي، ضممت ركبتي إلى صدري، ودفنتُ وجهي بين ركبتي، تعالت شهقاتي، أحسست بشيء يقف أمامي.

- سارة.

انتبهت للصوت ورفعتُ رأسي سريعًا.

- لماذا تجلسين هنا؟

نهضتُ بلهفة و أنا أبكي:

- خالتي، أمي غرقت والصغيرة ماتت.

- ماذا تقولين؟! أمك وأختك بالبيت عندي، نحن نبحث عنكِ منذ زمن.

أجبتُ بهمس:

- كيف؟! الصغيرة أُكِلت أمام عيني.

- لا بد أنكِ تتخيلين، أمك تبكي من أجلك، أين ذهبتي فجأة؟

أجبتُ ببكاء وشهقات حاولت أن أكتمها:

- ماذا تقولين خالتي؟! أقول لكِ الصغيرة بالداخل حتى انظري.

قطبت بين حاجبيها وأردفت:

- المكان خالٍ تمامًا.

نظرتُ للمكان ولكن لم أجد البيت بأكمله، فبكيتُ أكثر وتعالت شهقاتي.

- عزيزتي، لا تفزعي، لا بد أنكِ تتخيلين، هيا بنا،

أمك قلقة جدًا.

ذهبت الخالة وذهبتُ ورائها أجفف دموعي بفرح:

- هكذا إذًا، هذه كانت تخيلات من عقلي، حمدًا لله أن أمي وأختي بخير.

ارتفع رنين هاتفي، نظرتُ إليه باستغراب! فكيف للخالة أن تتصل وهي أمامي؟! فتحتُ الخط ووضعت الهاتف على أذني فإذا بالصاعقة! الخالة هي من تجيب! اتسعت عيناي على أخرهما!

- أهلًا سارة حبيبتي، آسفة للاتصال في هذا الوقت المتأخر من الليل؛ ولكن قلقت عندما لم تأتوا اليوم، ولكن أمك أخبرتني أنكم ستأتون، هل أصابكم شيء؟

هنا سقط الهاتف من يدي، إذًا أين كنا نحن؟ وهل ما حدث كان حقيقيًا؟ ومن هذه؟ ارتددتُ للخلف وركضت عكس الاتجاه و أنا أنظر خلفي خوفًا منها أن تلاحقني، و أثناء ركضي اصطدمتُ بشيء أسقطني أرضًا، رأيتها تقترب مني وصار وجهها مخيفًا؛ عيناها بيضاء تمامًا مخيفة وشعر يغطي نصف وجهها و ابتسمت ابتسامة

مرعبة ظهرت فيها أسنانها المقززة، و اقتربت بأظافرها الطويلة ويديها القذرة حول عنقي و أنا لم أستطع فعل شيء سوى البكاء، أغلقتُ عيني أناجي الله في سري ونطقت الشهادتين، هنا ارتفع صوت أذان الفجر، انتظرت أن تخنقني ولكن يديها لم تصل إليّ! فتحت عيني ببطء فلم أجدها.

هذه قصتي أو جزء أليم من حياتي فقدتُ فيها أمي وأختي ولم يتم العثور على جثتيهما.

النهاية.